الفصل الخامس – المحاضرة الثّانيّة

أبو فراس الحمداني

الحارث بن سعيد الحمداني

(٣٢٠هـ –٣٥٧هـ)

(٩٢٣م –٩٦٨م)

محاور المحاضرة

حياته ووفاته

شعره

قصيدة " أراك عصيَّ الدّمع"

الجانب اللغويّ والتطبيق النحويّ

حياته ووفاته

حياته :

ولد أبو فراس الحمداني في الموصل سنة٩٣٢م من أسرة كريمة ونشأ في بلاط ابن عمه سيف الدّولة، وحظي بثقافة واسعة وتعلم فنون الفروسية حتى ولاه سيف الدّولة على منبج وحرّان، وقد أسره الرّوم مرتين وطال به الأمر في المرة الثّانية، و عُرف ما كتبه في أسره بـــ**الرّوميات** توفي عام ٩٦٨ م في حمص اثناء تصديه لجيش المولى فرغويه.

أجاد الفروسية والرّماية وشارك في مجالس الأدب مذاكراً الشّعراء ومنافساً لهم، فشبّ على الفروسية والشّعر، حتى عُرفَ بالشّجاعة والحنكة.

وفاته:

رفض أبو فراس الاستسلام لأوامر سيف الدولة وابنه أبي المعالي، وتعرض بمقاومة شرسة لجيش المولى فرغويه حتى قتل في ميدان القتال وهو في ريعان شبابه ببلدة صدَد على الجنوب الشرقي من حمص في ربيع الأول سنة ٣٥٧هـ — ٩٦٨ م، مخلفاً وراءه ذكراً وبطولات خالدة حفظها التّاريخ عبر الأجيال.

شعره :

تميز شعره بسلاسة الألفاظ وجسامة المعاني وصدق العاطفة بعيداً عن الابتذال والمجاملة والتّكسب. سكن منبج وهي منطقة بين حلب والفرات، وكان يتنقل في بلاد الشّام.

وقد تأسست الدّولة الحمدانية في صدر القرن العاشر الميلادي إبان ضعف الدّولة العباسيّة، وشملت بعض الشمال السوري و جزءاً من العراق، متخذة من حلب عاصمة لها.

يعدّ أبو فراس من الشّعراء المجيدين، إذ خلف زهاء ٧٠ نصاً شعريّاً في مختلف بحور الشّعر العربيّ وجلّ أغراضه، حتى إن الصّاحب بن عباد صنفه خاتمة الشّعراء، فقال عنه "بدأ الشّعر بملك وانتهى بملك" ويقصد أن الشّعر بدأ بامرئ القيس وانتهى بأبي فراس.

وقد جمع ابن خالويه بعض شعره، كما جمع الثّعالبي البعض فطبع ديوانه في بيروت مرتين أواخر القرن الـ ١٩، لتكتمل طباعته في دمشق سنة ١٩٤٤م، كما ترجم الدّيوان إلى بعض اللغات الأجنبيّة.

وكان لمعاصرته المتنبي واحتكاكه به الأثر البالغ في شعره، كما أن تجنبه التّكسب والمجاملات بشعره جنبه السطحيّة والابتذال.

شعر أبي فراس شعر العاطفة الصّادقة، والفروسيّة العربيّة، والحنين إلى الوطن.

أراك عصيّ الدّمِع شيمتُكَ الصّبرُ

تعد قصيدته الشهيرة "أراك عصي الدمع شيمتك الصبر" مثالا حياً على شعر الرّوميات، فقد صنفها عدد من النقاد ضمن الآداب العالمية الخالدة، لقوة شاعريتها وصِدق عاطفتها وتجرّد الشّاعر فيها بأناه الخاصة للتعبير عن عواطفه ومشاعره وقناعاته ومبادئه وما يتبناه من حكم وقيم. يقول في مطلعها:

أراكَ عَصِيَّ الدَمعِ شيمَتُكَ الصَبرُ ... أَما لِلهَوى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمرُ
بَلى أَنا مُشتاقٌ وَعِندِيَ لَوعَةٌ ... وَلَكِنَّ مِثلي لايُذاعُ لَهُ سِرُّ
إِذا اللَيلُ أَضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى ... وَأَذلَلتُ دَمعاً مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ
تَكادُ تُضيءُ النارُ بَينَ جَوانِحي ... إِذا هِيَ أَذكَتها الصَبابَةُ وَالفِكرُ
مُعَلِّلَتي بِالوَصلِ وَالمَوتُ دونَهُ ... إِذا مِتّ ظَمآناً فَلا نَزَلَ القَطرُ
حَفِظتُ وَضَيَّعتِ المَوَدَّةَ بَينَنا ... وَأَحسَنَ مِن بَعضِ الوَفاءِ لَكِ العُذرُ
وَحارَبتُ قَومي في هَواكِ وَإِنَّهُم ... وَإِيّايَ لَولا حُبُّكِ الماءُ وَالخَمرُ
وَفَيتُ وَفي بَعضِ الوَفاءِ مَذَلَّةٌ ... لِإِنسانَةٍ في الحَيِّ شيمَتُها الغَدرُ
تُسائِلُني مَن أَنتَ وَهيَ عَليمَةٌ ... وَهَل بِفَتىً مِثلي عَلى حالِهِ نُكرُ

فَقُلتُ كَما شاءَت وَشاءَ لَها الهَـــوى ... قَـــــــــــتيلُكِ قالَت أَيَّهُم؟ فَهُمُ كُثرُ
فَقالَت لَقَد أَزرى بِكَ الدَهرُ بَـــعدَنا ... فَقُلتُ مَعاذَ اللهِ! بَـــــل أَنتِ لا الدَهرُ
فَلا تُنكِريني يا اِبنَةَ العَـــمِّ إِنَّـــهُ ... لِـــــيَعرِفُ مَن أَنكَرتِهِ البَدوُ وَالحَضرُ
وَلا تُنكِريني إِنَّني غَيرُ مُنكَـــــرٍ ... إِذا زَلَّـــــتِ الأَقدامُ وَاِستُنزِلَ النَصرُ
وَإِنّي لَجَرّارٌ لِكُلِّ كَتيبَـــــــةٍ ... مُـــــــعَوَّدَةٍ أَن لا يُخِلَّ بِها النَصرُ
وَإِنّي لَنَزّالٌ بِكُلِّ مَخوفَـــــــةٍ ... كَـــــــثيرٌ إِلى نُزّالِها النَظَرُ الشَزرُ
فَأَظمَأُ حَتّى تَرتَوي البيضُ وَالقَـــنا ... وَأَسغَبُ حَتّى يَشـــــبَعَ الذِئبُ وَالنَسرُ
وَلَكِن إِذا حُمَّ القَضاءُ عَلى اِمـــرِئٍ ... فَلَيـــــــسَ لَهُ بَرٌّ يَقيهِ وَلا بَحرُ
وَقالَ أُصَيحابي الفِرارُ أَوِ الـــرَدى ... فَقُلتُ هُما أَمرانِ أَحـــــــلاهُما مُرُّ
وَلَكِنَّني أَمضي لِما لا يُعيبُنـــــي ... وَحَســـبُكَ مِن أَمرَينِ خَيرَهُما الأَسرُ

يَمُنّونَ أَن خَلّوا ثِيابي وَإِنَّما ... عَلَيَّ ثِيابٌ مِن دِمائِهِمُ حُمرُ
سَيَذكُرُني قَومي إِذا جَدَّ جِدُّهُم ... وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ
فَإِن عِشتُ فَالطَعنُ الَّذي يَعرِفونَهُ ... وَتِلكَ القَنا وَالبيضُ وَالضُمَّرُ الشُقرُ
وَإِن مُتُّ فَالإِنسانُ لابُدَّ مَيِّتٌ ... وَإِن طالَتِ الأَيّامُ وَاِنفَسَحَ العُمرُ
وَنَحنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عِندَنا ... لَنا الصَدرُ دونَ العالَمينَ أَوِ القَبرُ
تَهونُ عَلَينا في المَعالي نُفوسُنا ... وَمَن خَطَبَ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ
أَعَزُّ بَني الدُنيا وَأَعلى ذَوي العُلا ... وَأَكرَمُ مَن فَوقَ التُرابِ وَلا فَخرُ

الجانب اللّغوي والتّطبيق النحويّ

يفتتح الشّاعر قصيدته بحوار وتساؤل وجواب بينه وبين من يحبّ. فهو عصيّ الدّمع على الرّغم من السّجن والأسر، وهو صابرٌ لم يبدِ ضعفاً ولا ذلاً، فتسائله مستنكرةً عليه هذا الموقف الصّلب الذي لا يصدر إلا ممّن لم يذق طعمَ الهوى، وهذا التساؤل فجّر عواطف إنسانيّة لديه، فهو مشتاقٌ بلغ الاشتياق به حدّ اللوعة، لكنّه لا يذيع الأسرار ويفضّل أن تبقى تتصارع في داخله، وهو — وإن كان فارساً شجاعاً مقداماً — له قلبٌ يتفطّر ألماً على فراق الأحبّة.

وتمضي الأبيات في حوار بينه وبين من يحبّ، ويقدّم الحوار صوراً من وفاء الشّاعر، ونكران الحبيب، ويكاد يفصح الشّاعر بأنّ هذا الحبيب ما هو إلا سيف الدولة الذي نسيه أو تناساه وأبقاه أسيراً ويذكّر الشّاعر بماضيه البطولي وبفروسيته وقيادته للجيوش المنتصرة وأنّ أسره لم يكن لضعفٍ اعتراه لكنّه قضاء الله وقدره.

جمال هذه القصيدة يأتي من اتّجاهات عدّة؛ فهي ترينا من البداية صورة الفارس الحزين الذي يغالب الواقع بالكبرياء فإذا ما ستره الليل بكى بكاءً مرّاً واشتعلت جوانحه حزناً.

ومن الصّور الجميلة ذلك الحوار بينه وبين سيف الدولة الذي أجراه على صور حبيب وفيّ وحبيبة غادرة، والصورة الأهم هي صورة الفارس الأسير الذي يأبى الذلّ ويتوعد الأعداء بأنّه سيعود إلى قتالهم، ثمّ صورة الأمير الذي يبالغ في الفخر ليجبر انكساره الذي هو فيه.

تطبيق على أسلوب الشرط

أداة الشّرط

فعل الشّرط

جواب الشّرط

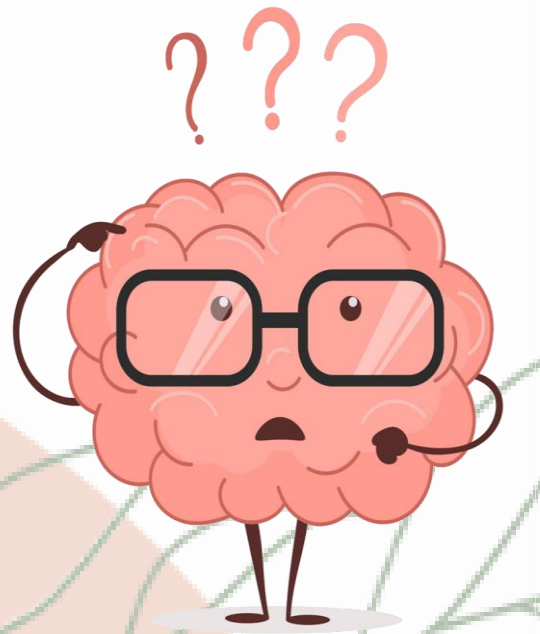

درسنا سابقاً أسلوب الشّرط وحكمه أنّ هناك علاقة بين فعلين أو جملتين، ترتبط إحداهما بالأخرى، وهذه العلاقة علاقة سببيّة ومثالها البيت الثّالث:

_إذا اللّيلُ أَضواني بَسَطتُ يَدَ الهـوى وَأَذلَلتُ دَمعاً مِن خَلائِقِهِ الكِبـــــرُ

أداة الشّرط "إذا" وفعل الشّرط هو" أضواني" المحذوف، وجواب الشّرط "بسطت يد الهوى" وما عطف على جواب الشّرط" وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

الأداة "إذا" تدلّ على الزّمن فهي بمعنى" حين" فهي ظرفيّة تضمنت معنى الشّرط لأنها تحتاج إلى جواب الشرط.

الليل: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور.

* تَكادُ تُضيءُ النارُ بَينَ جَوانِحـــــي إِذا هِيَ أَذكَتها الصَّبابَةُ وَالفِكـــــرُ

الأداة إذا جاء بعدها فعل الشّرط أذكتها ولم يأتَ الجواب وعند النّحويين تفقد إذا معنى الشّرط إذا لم يأت جوابها بعدها فهي في البيت ظرفيّة والضمير بعدها فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور.

- مُعَلِّلَتي بِالوَصلِ وَالمَوتُ دونَـــــــهُ إذا متّ ظَمآناً فَلا نَزَلَ القَطـــــــرُ
- **إذا أداة** ربطت بين جملتين هما " مت ظمآنا" و " فلا نزل القطر" الأولى هي فعل الشّرط والثانية جواب الشّرط، وقد اقترنت جملة جواب الشّرط بالفاء لأنّها جملة مسبوقة بـــ لا النافية التي تدل على الدّعاء فالأسلوب طلبيّ وإذا كانت الجملة تدل على الطّلب فلابد من اقترانها بالفاء.
- وَلا تُنكِريني إِنَّني غَيرُ مُنكـــــــــــــرٍ إذا زَلَّـــــــــــتِ الأَقدامُ وَاِستُنزِلَ النَصرُ
- الأداة إذا فقدت معنى الشّرط لأنّه لم يأت الجواب بعدها، وبقي لها معنى الظرف فهي بمعنى " حين" وجوابها تقدم عليها

تذكر:

أسلوب الشّرط وحكمه أنّ هناك علاقة بين فعلين أو جملتين، ترتبط إحداهما بالأخرى، وهذه العلاقة علاقة سببيّة

- وَلَكِن إذا حُمَّ القَضاءُ عَلى امـــــرئٍ فَلَيـــــــــــــــــسَ لَهُ بَرٌّ يَقيهِ وَلا بَحر
- إذا شرطيّة ظرفيّة لأنّها ربطت جوابَ الشّرط بفعل الشّرط فـ فعل الشّرط "حـمّ القضاء" وجواب الشّرط "فليس له برٌّ يقيه " والجواب اقترن بالفاء وهو واجب الاقتران بها لأنّ فعل الشّرط هو الفعل الناقص " ليس" وهو فعل جامد، فإذا كان جواب الشّرط جملة فعليّة فعلها جامد فلابد من دخول الفاء الرابطة– التي تربط بين فعل الشرط وجوابه– مثال: ُ
- فَإن عِشتُ فَالطَعنُ الَّذي يَعرفونَـــــهُ وَتِلكَ القَـــــنا وَالبيضُ وَالضُمَّرُ الشُقُرُ
- أداة الشّرط " إن" هي أم أدوات الشّرط الجازمة وهي تجزم فعلين مضارعين إن جاءا بعدها، فإن جاء بعدها الفعل الماضي وجاء جوابها جملة فعليّة فعلها ماض لا تجزم.
- فعل الشّرط "عشت" هو فعل ماض والجواب جملة اسمية هي (فالطعن الذي يعرفونه)
- المبتدأ " الطعن" والخبر محذوف تقديره "لهم" واقترنت جملة جواب الشّرط بالفاء لأن الجملة اسمية.

تذكر:

أسلوب الشّرط وحكمه أنّ هناك علاقة بين فعلين أو جملتين، ترتبط إحداهما بالأخرى، وهذه العلاقة علاقة سببيّة

أعرب البيت الآتي:

وَإن مُتُّ فَالإنسانُ لابُـــــــــــدَّ مَيِّتٌ وَإنْ طـــــــالَت الأَيّامُ وَانفَسَحَ العُمرُ

إنْ: حرف شرط جازم

متُّ: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل المتحركة والتّاء ضمير متصل في محل رفع فاعل.

فالإنسانُ: الفاء رابطة لجواب الشّرط، والإنسان: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة على آخره.

لا: نافية للجنس

بدَّ: اسم "لا" مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف تقديره" من ذلك" أي لابدّ من ذلك

ميتٌ: خبر مرفوع للمبتدأ الإنسان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة على آخره.

وإنْ: الواو حالية، إنْ: شرطيّة جازمة.

طالتْ: فعل ماض مبني على الفتح لاتصاله بتاء الـتأنيث الساكنة والتاء لا محل لها من الإعراب وحُركت بالكسر منعا للالتقاء الساكنين.

الأيامُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة عل آخره

وانفسح: الواو حرف عطف، انفسحَ: فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة على آخره.

العمرُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظّاهرة على آخره.

حفظ الله لكم سداد المعنى

شكراً لكم

د. مها محمد قطنا

شكراً لكم